

الفصل الرابع وظائف معاجم المصطلحيات فى العربية

يعرف هارتمان⁽¹⁾ وظيفة المعجم بما يجعلها مرادفة للغرض الذى يسعى صانعه إلى تحقيقه وتقديمه لنوع مستعمليه.

ويقرر أن الوظيفة (function) حاكمة فى تصميم المعجم وبنائه، ويقرر فى معرض تعريفه لهذا المصطلح - بما ضربه مثلاً لتوضيح مفهومه - أن المعجم المختص يصمم لعلّة أساسية، هى: شرح مصطلحية المجال الذى اختاره فى المقام الأول.

ثم يعود فيقسم وظائف المعجم قسمين، هما:

1- الوظيفة الكبرى (الأم) (Macro-function).

2- الوظيفة الصغرى (Micro-function).

وفحص مادة معاجم المصطلحيات العربية من الخوارزمى إلى التهانوى يقودنا إلى الإقرار بأن الوظيفة الأم (macro function) التى توخت هذه المعجمات الوفاء بها هى: بيان المفاهيم المعرفية المنضوية تحت مصطلحات العلوم التى عرفتها الثقافة العربية الإسلامية فى محاورها الثلاثة المستقرة، وهى فرع العلوم الشرعية وفرع العلوم العربية وفرع العلوم الحكيمة أو اليونانية، أو التجريبية؛ أى أن معاجم المصطلحيات تسعى إلى النهوض بما يسميه الدكتور/ محمد رشاد الحمزاوى (بالوظيفة الاصطلاحية)، وهى بيان ما يتعلق "بالمظهر الاصطلاحى"⁽²⁾.

وقد ظهرت هذه الوظيفة فى شكلين، سبقت الإشارة إليهما فى الحديث عن دور المقدمات، وفى الحديث عن مدى العناية بمعلومات مستوى الاستعمال، التى توافرت فى هذه المعجمات مشغلة الدراسة.

وقد ظهر من نص أصحاب معاجم المصطلحيات العربية وعيهم بطبيعة الغرض الذى صنعوها من أجله، بحيث يمكننا أن نقرر - ومن دون أى غموض - أن الوظيفة الكبرى أو الغرض الرئيسى فى هذه المعجمات تتمثل فى (الوظيفة المعرفية) أو الوظيفة العلمية، التى نقصد بها إرادة بيان المفاهيم والمعلومات المتعلقة بالعلوم التى عرفتها الثقافة العربية الإسلامية، من خلال تعريف مصطلحاتها.

(1) انظر: Dictionary of Lexicography, p 60, مدخل (function)

(2) المعجمية: مقدمة نظرية ومطبقة/ مصطلحاتها ومفاهيمها، ص352.

وهو ما تجلّى في مقدمات هذه المعاجم جميعاً، وفي عنواناتها؛ باعتبارها دالة على المحتوى، فتحليل العنوانات التالية دال على الوظيفة المعلنة لها:

أ- مفاتيح العلوم/ مقاليد العلوم (= دستور العلماء).

ب- الحدود الطبية وغيرها/ التعريفات/ التعريفات والاصطلاحات/ التوقيف على مهمات التعاريف.

ففى هذين الفرعين توجه أصحاب هذه المعجمات إلى الإعلان عن وظيفتها من خلال الإعلان عن انتماءاتها المعرفية؛ فهى فى تصور المجموعة (أ) مفاتيح أو مقاليد أو جامع للمبادئ العامة للعلوم، وهى فى تصور المجموعة (ب) مدونات للحدود، التى هى التعريفات أو التعاريف، أو الأوصاف المحيطة بالمعنى⁽¹⁾.

وهذا الذى ظهر لنا استنباطاً من قراءة عنوانات هذه المعاجم، تجلّى واضحاً صريحاً فى مقدماتها، على تفاوت فى الإطناب والإيجاز.

وقد سبق منا بيان ذلك تفصيلاً فى الفصل الأول من هذا الباب، مما يعيننا من إعادة نقله هنا، كما تأكّدت لنا هذه الوظيفة المعرفية/ العلمية فى مدخل حديثنا عن طرق شرح المعنى فى هذه المعجمات، فى سياق التدليل على عنايتها ببيان مستوى الاستعمال.

على أن الإقرار بأن معاجم المصطلحيات فى العربية خلصت لرعاية الوظيفة المعرفية أو الاصطلاحية المتمثلة فى توضيح المفاهيم المعرفية المختلفة لمصطلحات علوم الثقافة العربية الإسلامية- لا يمنع من وفائها بوظائف أخرى مهمة جداً، وإن لم تكن العناية بها على مستوى الوفاء بالوظيفة الأم.

وقد ظهر فيما سبق من فصول عناية معاجم المصطلحيات بالوظائف الصغرى التالية:

- 1- بيان المعنى اللغوى؛ لإدراك العلاقة الحاكمة بينه وبين المعنى الاصطلاحى.
- 2- بيان عدد من المعلومات النطقية والهجائية، التى تعين على إفادة المستعمل عدداً من مهارات الكتابة تبعاً.
- 3- بيان عدد من المعلومات الصرفية، التى من شأنها دعم إدراك التصور المعرفى/ أو المفهومى للمصطلحات.
- 4- بيان عدد من المعلومات النحوية؛ للأمر نفسه.

(1) على حد تعبير الكفوى فى الكليات (الحد)/391.

كما ظهرت العناية بوظيفتين تدرجان تحت قسم الوظيفة الصغرى، لم يرد لهما تفصيل سابق في هذه الدراسة، وهما:

أ- الوظيفة التاريخية، ونقصد بها ظهور العناية في أحيان قليلة ببيان بعض المعلومات المتعلقة بتاريخ ظهور بعض المصطلحات أو المفاهيم، أو تاريخ تطورها، بالإضافة إلى بعض المعلومات المتعلقة بجغرافيا بعض المصطلحات، عن طريق بيان بعض خصوصيات عدد من المفاهيم المرتبطة ببعض البيئات؛ مما يشير إلى جذور قديمة- وإن تكن قليلة- يمكن استثمارها في خدمة المعجم التاريخي.

ب- الوظيفة الموسوعية، ونقصد بها هنا ظهور العناية ببيان بعض المعلومات المتعلقة بعدد من الأعلام (إنسانية/ وغير إنسانية) والموازن والمكاييل والمعادن والمصنفات؛ مما يسهم في إضاءة كثير من المفاهيم المعرفية والعلمية المتعلقة بكثير من مصطلحات العلوم المختلفة.

وفيما يلي زيادة بيان بهاتين الوظيفتين، اللتين تدرجان تحت ما سميناه- تبعاً لهارتمان- بالوظيفة الصغرى:

(أ-2/4)

وتتشابك بعض المعلومات التي يعدها المعجم التاريخي من صميم أهدافه⁽¹⁾ بما سبق أن سميناه بمعلومات مستوى الاستعمال، من مثل ما يقوله الخوارزمي في التعليق على مصطلح (الاستصلاح، ص9) عن ارتباطه بالإمام مالك وحده بعبارة: "أما الاستصلاح فهو ما تفرد به مالك بن أنس وأصحابه". ومع فائدة هذه المعلومة في تعيين مجال الاستعمال، وقصره على الفقه المالكي- فإن ثمة فائدة أخرى للمعجم التاريخي، متمثلة في تاريخ بداية ظهور الاصطلاح مع نصف القرن الثاني الهجري، في بيئة معينة، هي بيئة المدينة المنورة في توقيت معين.

وفي هذا السياق يمكن اعتبار كل المصطلحات الدالة على الفرق والملل والمذاهب من قبيل المعلومات التي تعين على المعجم التاريخي؛ لارتباطها في الظهور بتاريخ معلوم، فضلاً عما يتعلق بها من شق موسوعي.

ومن أمثلة المعلومات ذات الوظيفة التاريخية ما أورده الجرجاني تحت مصطلح (الصفى ص875/175): "الصفى: هو شيء نفيس كان يصطفيه النبي - صلى الله عليه وسلم- لنفسه؛

(1) انظر: المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق وناذج)، ص48.

كسيف أو فرس". ففى هذا التعليق ما يشير إلى تاريخ ظهور هذا المعنى وارتباطه بتشريع الغنائم، بعد تشريع الحرب فى الفترة المدنية من عمر البعثة المشرفة.

وقد ترد الإشارة التاريخية صريحة، فى مثل تعليق الكفوى على مصطلح (الجبرية، ص 353): "والجبرية: خلاف القدرية، والتحرك لللازدواج، وهو اصطلاح المتقدمين". ففى هذه الجملة الأخيرة (وهو اصطلاح) فائدة للمعجم التاريخي.

وفى مثل تعليق المناوى على مدخل (الحتف / 267): "يقال إنها لم تسمع فى الجاهلية بل فى الإسلام".

فكثير من هذه الإشارات مفيد جداً فى بناء المعجم التاريخي، مما يلزم معه أن تعين هذه المعجمات فى القوائم التى تقترح لجمع المادة اللازمة لعمله، وهو ما يعكس وجهاً آخر من وجوه الاستثمار المعاصر الممكنة من هذه المعجمات.

(2/4- ب)

وكذلك اعتنت معاجم المصطلحيات فى العربية- فى ضوء عنايتها بالوظيفة الأم- بإيراد عدد من المداخل الموسوعية التى تتعلق بتكميل مفاهيم مصطلحات العلوم المختلفة، وقد تنوعت هذه المداخل الموسوعية تنوعاً ظاهراً، توزع على الأعلام، سواء أكانت إنسانية للعلماء، أو غير إنسانية للأماكن أو الفرق والمذاهب، وعلى المؤلفات والمصنفات وأسماء المكابيل والموازن والمعادن، وغير ذلك، ولكنها جمعها جميعاً خيط مشترك، تمثل فى أن العناية بها كانت لازمة من وجهة نظر صانعى هذه المعجمات؛ تمييزاً لبيان المفاهيم المعرفية/ أو العلمية الخاصة بالعلوم المختلفة.

وقد كانت العناية بالوظيفة الموسوعية قديمة جداً، ظهرت مع بدايات التأليف فى معاجم المصطلحيات بصورة واضحة تماماً، وإن كان ظهورها فى المعاجم المتأخرة قريباً من العصر الحديث أعلى بكثير جداً⁽¹⁾.

(1) انظر مثلاً فى باب الأول فقط من جامع العلوم للأحمد نكرى المداخل الموسوعية التالية: 16 (ابن الحاجب > نحوى/ مصنفاته)، و (ابن جنى > نحوى)، و (أبو الفضل بدیع الزمان > مصنفاته)، و 17 (أبو المنصور الماترىدى مصنفاته)، و 19 (أبو حامد الغزالي > مصنفاته)، و 20 (أبو حنيفة > منزلته الفقهية)، و 36 (الأحمد > النبى صلى الله عليه وسلم)، إلى غير ذلك.

وانظر الأمثلة التالية الدالة على عناية معاجم المصطلحيات بالمداخل الموسوعية، التوقيف على مهات التعاريف، ص 384 (الزبور > الكتاب المنزل على داود عليه السلام)، و 395 (السبت > اليوم المعلوم)، و 431 (شعبان > علم للشهر)، و 467 (الصيف > مقابل الشتاء)، و 657 (المشعر الحرام > جبل قزح)، وغير ذلك.

ومن أمثلة المداخل الموسوعية عند الخوارزمي قوله (202): "كتاب الأسطقسات، هو: كتاب إقليدس في أصول هذه الصناعة، (يقصد الهندسة)، وإقليدس: اسم الرجل الذي صنف هذا الكتاب وجمع أصول الهندسة".

فهذا المدخل لا يتضمن مفهوماً معرفياً بالمعنى الشائع الذي تتضمنه المصطلحات الفاشية في العلوم المختلفة، وإنما هو عنوان لواحد من المصادر الأمهات في علم الهندسة، لكن إيراده هنا مهم في بناء التصور المفهومي لمجموعة كبيرة من مصطلحات هذا العلم.

وهكذا يصح النظر إلى المداخل الموسوعية التي أوردها أصحاب هذه المعاجم؛ باعتبارها فرعاً من الوظائف الصغرى (Micro-function)، التي تعين على الوصول بالوظيفة الكبرى (أو الأم) إلى درجة عالية من الجودة وحسن الأداء.

(ج-2/4)

وفي الإمكان النظر إلى عدد آخر من الوظائف الصغرى، يمكن استنباطها من تأمل هذه المعجمات، نخص بالذكر منها ما يمكن أن نسميه الوظيفة الحضارية، ونقصد بها فحص ما قدمه العلم في المحيط العربي الإسلامي من منجزات، من خلال فحص مدونات المصطلحات الواردة في معاجم المصطلحيات العربية، وفحص ما نقله العلم في المحيط نفسه من الأمم الأخرى، من خلال فحص المصطلحات المعربة، فضلاً عن جزئيات أخرى كثيرة، من مثل ما تم تطويره أو تعديله، أو إضافته من مفاهيم.

هذا بالإضافة إلى وظائف أخرى تربوية، يمكن تأملها من لغة التخطئة أو الزيادة في هذه المعاجم.

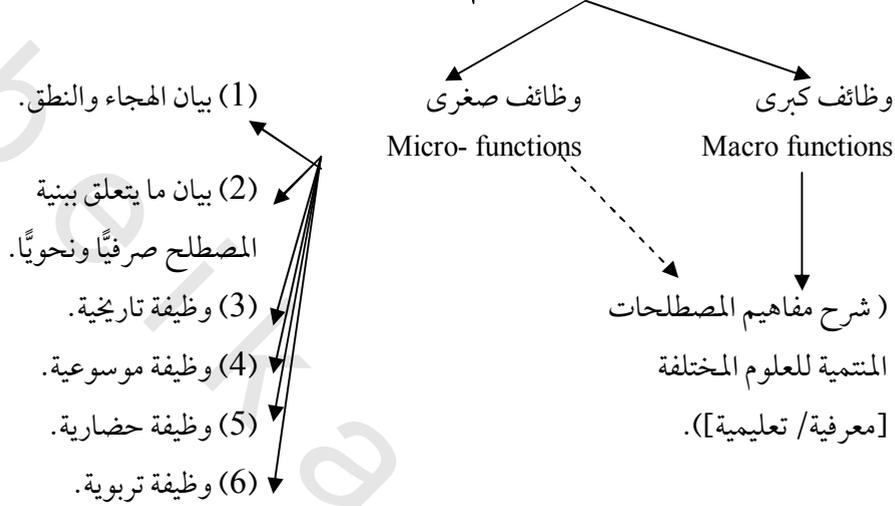
وفي خاتمة هذا الفصل يتضح لنا أن الوظيفة الكبرى - وهو المتوقع والمنطقي - كانت هي العناية ببيان المفاهيم ومعاني المداخل، عن طريق العناية - في المقام الأعلى - بتعريف المصطلحات.

= وفي الكليات للكفوى، ص 253 (بكة > مكان البيت الشريف بمكة)، و 157 (سليمان > هو ابن داود نبي وملك عليه السلام).

وفي كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي 78/1 (آب > علم على شهر أغسطس)، و 510/1 (تموز > علم على شهر يولييه)، و 540/1 (الثامية > فرقة من المعتزلة)، و 545/1 (الجاحظية > فرقة من المعتزلة)، و 608/1 (الحابطية > فرقة من المعتزلة)، وكلها منسوبة إلى منشئها، و 800/1 (الدهرية > فرقة كافرة)، و 900/1 (الريحان > نبات)، و 1677/2 (الميمونية > فرقة من الخوارج، نسبة إلى ميمون بن عمران)، و 1817 (اليونسية > فرقة من غلاة الشيعة نسبة إلى يونس ابن عبد الرحمن)، وغير ذلك.

ومع هذه العناية التي احتلت المكان الأول؛ للوفاء ببيان التصورات والمعارف والمفاهيم - لم تخل هذه المعجمات من رعاية عدد من الوظائف الأخرى، وإن جاءت تابعة في غالب الأحيان للوظيفة الأم، ويمكن إجمال وظائف معاجم المصطلحيات في المشجر التالي:

وظائف معاجم المصطلحيات العربية



* الخط المتقطع يفيد أنها تابعة للوظيفة الأم.